Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

The Conceptual Foundations of Equality in the Writings of Arab Renaissance Thinkers: Qasim Amin as a Model

Mahmood Saleh Saeed
Department of History / College of Arts / University of Mosul /Mosul-Iraq

Bashar Farooq Abd
Department of History / College of Basic Education/ University of Mosul /Mosul-Iraq

Article Information

Article History:
Received Nov, 09, 2025
Revised Dec, 11 ,2025
Accepted Dec,14 , 2025
Available Online Feb. 1, 2026

Keywords:
Qasim Amin,
Women,
Equality,
Sustainable Development,
Women's Education.

Correspondenc
Mahmood Saleh Saeed
mahmood.s.saeed@uomosul.edu.iq

Abstract

The concept of equality stands as one of the most prominent ideas that preoccupied Arab thought during the Nahda (Arab Renaissance). It represented a profound transformation in Arab consciousness toward the end of the nineteenth century, when reformers sought to rebuild the relationship between the individual and society on the foundations of justice and human dignity. Thinkers of the Nahda viewed equality as a fundamental pillar of sustainable human development, one that empowers the individual and contributes to the advancement of the nation. In this context, Qasim Amin emerged as one of the foremost figures of social and intellectual reform. He transformed the notion of equality into a comprehensive national project linking women's liberation, educational reform, and social justice. His three major works constituted an integrated intellectual framework that combined the core values of Islam with the principles of modernity, offering a critical perspective on the social realities of his time.The study is divided into three main sections: The first section examined Qasim Amin's early life, intellectual formation, and the key influences that shaped his reformist vision. The second section explored the intellectual roots of the concept of equality in the thought of early Arab Renaissance pioneers such as Rifa'a al-Tahtawi and Jamal al-Din al-Afghani, who paved the way for later reformist discourse. The third section focused on Qasim Amin's conceptualization of equality in education, labor, freedom, and rights, highlighting its intrinsic connection to the principles of sustainable development as a comprehensive human and civilizational goal .

DOI: ----------, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license ((http://creativecommons.org/licenses/by/4.0).

تأصيل مفهوم المساواة في كتابات مفكري عصر النهضة :قاسم امين انموذجاً محمود صالح سعيد *

بشار فاروق عبد **

المستخلص:

يُعدّ مفهوم المساواة من أبرز المفاهيم التي شغلت الفكر العربي في عصر النهضة، إذ مثّل تحوّلاً جوهرياً في بنية الوعي العربي مع أواخر القرن التاسع عشر، حين سعى المصلحون إلى إعادة بناء العلاقة بين الإنسان والمجتمع على أسسٍ من العدالة والكرامة الإنسانية. وقد نظر مفكّرو النهضة إلى المساواة بوصفها ركيزةً أساسية للتنمية الإنسانية المستدامة التي تمكّن الفرد وتُسهم في نهوض الأمة. وفي هذا السياق برز قاسم أمين بوصفه أحد أبرز رموز الإصلاح الاجتماعي والفكري، إذ حوّل فكرة المساواة إلى مشروع وطني شامل ربط بين تحرير المرأة وإصلاح التعليم وتحقيق العدالة الاجتماعية. وقد شكّلت مؤلفاته الثلاثة إطاراً فكرياً متكاملاً جمع بين قيم الإسلام الأصيلة ومبادئ الحداثة في مقاربةٍ نقدية للواقع الاجتماعي العربي.

توزّع البحث على عدة محاور رئيسة: تناول المحور الأول نشأة قاسم أمين وتكوينه الفكري والعوامل التي أسهمت في تشكيل رؤيته الإصلاحية. أمّا المحور الثاني فيُعنى بتأصيل مفهوم المساواة في فكر روّاد النهضة العربية الأوائل مثل رفاعة الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني، بوصفهما ممهدين للفكر الإصلاحي اللاحق. في حين ركّز المحور الثالث على تحليل مفهوم المساواة لدى قاسم أمين من خلال مقارباته لقضايا التعليم والعمل والحرية والحقوق، مع إبراز الصلة الوثيقة بين هذه المفاهيم ومبادئ التنمية المستدامة بوصفها هدفاً إنسانياً وحضارياً شاملاً.

الكلمات المفتاحية : قاسم امين ، المرأة ، المساواة ، التنمية المستدامة ، تعليم المرأة

اولا / قاسم امين : الولادة والنشأة والتعليم :

ولد قاسم امين في مدينة الاسكندرية بمصر سنة 1863 لاسرة من اصول كردية ومصرية ، عمل والده ضابطاً في الجيش المصري ، نشأ في بيت ذو بيئة محافظة يسودها الالتزام الديني والاخلاقي ، أتيح له تعلم اللغتين العربية والتركية الى جانب اللغة الفرنسية وهو ما انعكس عليه وعلى ثقافته مستقبلاً لتصبح شخصيته مزيجا بين الانفتاح والحفاظ على الهوية[1]

تلقى تعليمه الابتدائي في مدراس الاسكندرية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية في مدينة القاهرة ، اعجب بدراسة الفقه المقارن والقانون ، ظهرت ميوله نحو الكتابات الاجتماعية والنقدية ، وفي هذه المرحلة ايضاً بدأ اتصاله بالعديد من المصلحين مثل محمد عبده وجمال الدين الافغاني ، وتاثر بكتاباتهم الموجهة الى بعث الاسلام في صورته الحقيقية والعقلانية القادرة على مواكبة متطلبات العصر ، ووجد في فكر محمد عبده انموذجاً للمفكر المصلح الذي وحد بين الدين والعقل، وهو ما اثر على كتابات قاسم امين فيما يخص بنظرته الاصلاحية للمرأة والمجتمع[2]

ارسل قاسم امين الى فرنسا عام 1881 في بعثة علمية ، فالتحق بجامعة (مونبلييه) لدراسة القانون ، كانت تلك البعثة كما تصفها بعض المصادر منعطفاً اساسياً في مسيرته الفكرية ، اذ انتقل من بيئة تقليدية شرقية اسلامية محافظة الى بيئة جديدة غربية ومع مجتمع يزدهر بحرية الكتابة والتفكير ، اذ اطلع على مؤلفات كبار المفكرين الفرنسيين امثال جان جاك روسو وجون ستيورات وغيرهم ، وتأثر بفكرة الحرية بكل اشكالها وانواعها ، ووجد ان العدالة لا يمكن ان تتحقق الا عبر المساواة بين المواطنين امام القانون ، وهذا لا يعني انه انبهر بجوهر الحضارة الاوربية بل بمبادئ الانظمة الاوربية في العقل والعلم والنظام[3]

لقد اضافت دراسته في فرنسا بعداً عقلانياً على تكوينه ، لكنها لم تجعله مقلداً للغرب كما يوضح عبدالمنعم الدسوقي ، بل ناقداً من الداخل يقارن بين التجربة الاوربية والمجتمع المصري دون ان يُنكر جذوره الاسلامية ، فقد ادرك ان التقدم ليس محصوراً على الغرب ، بل ان

* قسم التاريخ/ كلية الاداب/ جامعة الموصل./ الموصل -العراق
** قسم التاريخ/ كلية الاداب/ جامعة الموصل/ الموصل .-العراق

(1) علي عبد الواحد وافي، قاسم امين (حياته واراءه في تحرير المرأة) ، دار المعارف ، (القاهرة،1960) ، ص11

(2) محمد عمارة ، تحرير المرأة بين قاسم امين والغرب ، دار الشروق ، (القاهرة ،1984) ، ص22

(3) عائشة عبدالرحمن ، قاسم امين رائد تحرير المرأة ، دار الهلال (القاهرة ، 1962) ، ص19

النهضة ممكنة متى ما وجد الايمان بالعلم ، فقاسم امين لم يكن داعية للتغريب ، بل آمن بأن الاسلام يملك جذور الاصلاح لو تم فهمه بعقل نير[1]

بعد عودته الى مصر سنة 1885 عُين في السلك القضائي ، حيث بدأ يلاحظ مظاهر التخلف الاجتماعي وسياسة التميز بين النساء والرجال في المجتمع المصري ، فأتاحت له وظيفته كقاضي بأن يطلع على واقع الاسرة المصرية ولا سيما موضوع المرأة ، فوجد ان كثيراً من الاعراف التي تطبق باسم الدين لا تمت الى الدين او الشريعة بصلة ، بل انها كرست التسلط والظلم ، وقد دفعه هذا الى التفكير في عملية الاصلاح من جذوره بدءا من الاسرة والتعليم ، وهذه المرحلة كانت المرحلة الفاصلة في تطور فكره وتوجهه الى الفكر الاجتماعي[2].

ولقد تضافرت عناصر ثلاثة في تكوين فكر قاسم امين ، وهي الاسرة المتدينة والتعليم الحديث والتجربة الاوربية ، وامتزجت هذه العناصر وكونت لديه شخصية نقدية متوازنة ، هذه الشخصية التي جمعت بين الشرق المحافظ والغرب المنفتح لتعيد تعريف الهوية الاسلامية الحديثة [3]

ثانياً / تأصيل فكرة المساواة في الفكر النهضوي العربي

تبلور مفهوم المساواة في الفكر العربي الحديث خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في سياق التفاعل المتصاعد بين الفكر الإسلامي الإصلاحي والفكر الأوروبي الحديث. ولم يكن هذا المفهوم نتاجاً لاقتباسٍ مباشر من الغرب، بقدر ما كان ثمرة عملية فكرية مركّبة لإحياء القيم الإسلامية الأصيلة القائمة على العدالة والكرامة والمواطنة، في ضوء الرؤية العقلانية التي سادت آنذاك. فقد أدرك روّاد الإصلاح الأوائل، وفي مقدمتهم رفاعة رافع الطهطاوي، أن النهضة الحقيقية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال المواءمة بين مقاصد الشريعة ومبادئ الحرية الحديثة، وبأن الإنسان يشكّل محور العملية الحضارية بصفته كائناً عاقلاً ومسؤولاً، لا مجرّد تابع أو ناقص الأهلية.[4]

يُعدّ رفاعة رافع الطهطاوي (1801–1873) من أوائل المفكرين الذين أدخلوا إلى الفكر العربي الحديث مفاهيم رائدة مثل المواطنة والمساواة أمام القانون، واضعاً بذلك أسساً فكرية جديدة لإصلاح المجتمع في ضوء القيم الإنسانية والإسلامية معاً. وقد تجلّت هذه الرؤية بوضوح في مؤلفه الموسوم: (المرشد الأمين للبنات والبنين)، حيث أكّد أن تعليم النساء لا يقلّ أهمية عن تعليم الرجال، لأن كليهما يشتركان في مسؤولية بناء الأمة والنهوض بها. ويرى الطهطاوي أن النساء شقائق الرجال في العقل والخلق، وأن ما يميّز بينهما إنما هو الاختلاف الطبيعي في الخصائص التكوينية التي أرادها الله لحكمةٍ وتكاملٍ في الأدوار، لا لتفاضلٍ في القيمة أو الكرامة.[5]

ومن خلال هذا النص، أرَسَى رفاعة رافع الطهطاوي البذور الأولى لمفهوم المساواة في الفكر النهضوي العربي، إذ أبرز أن تعليم البنات لا يُعدّ استجابةً لتقليدٍ أوروبي، بل هو واجب ديني ووطني في آنٍ واحد، يهدف إلى تحقيق التوازن بين مقاصد الشريعة ومتطلبات التقدّم الحضاري. وقد لاحظ ألبرت حوراني أن الطهطاوي كان أول من نقل إلى العربية مفاهيم "الحرية المدنية" و"المساواة بين المواطنين" متأثراً بالفكر الفرنسي، مما يجعل من كتاباته أقدم صياغة عربية لفكرة المساواة والحقوق المدنية في إطارٍ إسلامي يجمع بين الأصالة والانفتاح، وبين روح الاجتهاد ومقتضيات العصر.[6]

جاء جمال الدين الأفغاني (1838–1897) ليُعمّق مفهوم المساواة من منظورٍ جديد، حين ربطها بمشروع الإصلاح الديني والسياسي، مؤكداً أن نهضة الأمة الإسلامية لا تتحقق إلا عبر تحرير العقل من الخرافة وإحياء قيم العدل التي شكّلت جوهر الرسالة الإسلامية. وقد أوضح في مقالاته أن التفاوت بين البشر ليس من طبيعة الدين، بل هو نتيجة فساد الأنظمة الاجتماعية واستبدادها، مما جعل من دعوته خطوة نوعية في مسار الوعي النهضوي. ثم واصل تلميذه الإمام محمد عبده (1849–1905) تطوير هذه الرؤية، فتبنّى المبدأ ذاته في إطارٍ أكثر نضجاً واتساعاً، إذ دعا إلى المساواة بين الرجل والمرأة في التكليف والمسؤولية، مؤكداً أن الإسلام لم يفرّق بينهما في أصل الخلق ولا في جوهر العقل، وأن ما يظهر من تفاوتٍ في الحقوق إنما هو من آثار الجهل والعادة لا من جوهر الدين. وهكذا شكّل فكر عبده امتداداً إصلاحياً أصيلاً لرؤية أستاذه الأفغاني، جامعاً بين التحرر العقلي والعدالة الاجتماعية في إطارٍ إسلامي مستنير. [7]

بهذه الرؤية قدم محمد عبده اساساً فكريا متيناً لفكرة المساواة ، مؤكداً ان الاسلام دين العدل والحرية ، وان النهضة لا تقوم الا على اصلاح التعليم وتحرير المرأة من قيود الجهل ، وقد اشار المفكر عبدالله العروي الى هذا التحول في الفكر الاصلاحي العربي ، معتبراً ان

(1) عبدالمنعم الدسوقي ، قاسم امين رائد التنوير في الفكر العربي الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة،2005) ، ص 27
(2) Margot Badran, Feminists, Islam, and Nation: Gender and the Making of Modern Egypt, Princeton University Press, Princeton, 1995, p. 33
(3)Alexandra Berdon. Ladies or Women, Occident or Orient: Clashes and Contradictions in the Egyptian Feminist Movement, 1919–1952. Barnard College, Columbia University, 2021.P:37
(4) البرت حوراني ، الفكر العربي في عصر النهضة 1798 – 1939 ، ترجمة كريم عسقول ، الطبعة الثانية ، دار النهار ، (بيروت ، 1986) ، ص73
(5) رفاعة رافع الطهطاوي ، المرشد الامين للبنات والبنين ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة ، 1973) ص5
(6) حوراني ، المصدر السابق ، ص 74
(7) محمد عبده ، الاعمال الكاملة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، 1993) ، ص215

المساواة لم تعد مجرد مبدأ اخلاقي بل اصبحت (وعياً تاريخياً) يرى العدالة الاجتماعية شرطاً للتقدم ، اذ بين ان فكرة المساواة هي عين العدالة الاجتماعية وهي شرط لا ترفا فكرياً[1]

ومع انتشار الصحافة والبعثات التعليمية في مصر والشام وتونس ، تطورت فكرة المساواة لتأخذ بعداً اجتماعياً اوسع ، فاصبحت جزءاً من الخطاب النهضوي العام ، وان المصلحون امثال خيري حماد وفرح انطوان وشبلي شميل ، وان اختلفوا في منطلقاتهم الفكرية الا انهم اجمعوا على ان العدالة بين الجنسين ضرورية من اجل تقدم المجتمع ، اذ سعى هؤلاء المفكرون الى اعادة صياغة صورة المرأة المتعلمة باعتبارها صحوة اخلاقية ضرورية للتجديد الوطني[2]

اما في مصر ، فقد اسهمت كتابات محمد عبده وتلاميذه في تحويل المساواة الى خطاب وطني ، حيث اعتبروا ان تحرير المرأة لا يعني منافسة الرجل ، بل بناء اسرة عادلة قادرة على تربية جيل وطني متعلم ، واوضح محمد عمارة ان المساواة في الفكر النهضوي لم تكن تقليداً للغرب كم زعم البعض ، بل هي احياء للروح القرآنية التي تجعل الناس سواسية في الكرامة والتكليف ، وان للاسلام عملية السبق في عملية الدعوة الى العدالة والحرية[3]

وقد مهد هذا الفكر الطريق لظهور جيل جديد من المصلحين في نهاية القرن التاسع عشر ، مثل سعد زغلول واحمد لطفي السيد وقاسم امين ، الذين نقلوا المساواة من كونها مبدأ اخلاقي الى مشروعٍ اجتماعي ووطني متكامل ، فقد ادركوا ان الامة التي تُهمش نصفها لن تنهض ، وان العدالة الاجتماعية شرط لأي نهضة سياسية أو ثقافية ، وهنا توضح الباحثة (ايلن ميلرني) في كتابها الموسوم (احياء قاسم امين وتحرير المرأة المستعاد) بأن جيل هؤلاء المفكرين كان بمثابة الجسر بين الاصلاح الديني والتجربة القانونية الحديثة ، فمن وجهة نظرها ان المساواة في هذا العهد مثلت مشروعاً مدنيا واجتماعيا شاملاً[4]

بهذا المعنى، يمكن القول إن تأصيل مفهوم المساواة في الفكر النهضوي العربي لم يكن نتاج صراعٍ بين الأصالة والمعاصرة، بل حصيلة تفاعلٍ خلاق بين النص الديني والعقل الإنساني. فقد سعى مفكرو النهضة إلى استلهام القيم الإسلامية الأصيلة في العدل والكرامة، مع الإفادة الواعية من التجارب الأوروبية دون الوقوع في فخ الانبهار أو التقليد. وقد أسّس هذا الاتجاه الإصلاحي الممتد لمرحلة فكرية جديدة في القرن اللاحق، حيث أعاد المفكرون تعريف المساواة بوصفها ضرورة اجتماعية ووطنية تمثل شرطاً أساسياً لنهضة الأمة وبناء مجتمعٍ قائم على العدالة والمواطنة والمسؤولية المشتركة. [5]

ثالثاً/ تأصيل فكرة المساواة عند قاسم امين

لم تكن دعوة قاسم أمين إلى المساواة بين الرجل والمرأة حدثاً معزولاً عن سياق الفكر العربي الحديث، بل جاءت تتويجاً لمسارٍ طويل من الإصلاح الاجتماعي والفكري الذي شهدته مصر خلال القرن التاسع عشر. فقد تبلور فكر المساواة لدى أمين في رحم الأزمة الحضارية التي عاشها المجتمع المصري تحت الاحتلال البريطاني، ومن وعيه العميق بأن النهضة لا يمكن أن تتحقق في أمةٍ تُقصي نصف أفرادها عن ميادين التعليم والعمل والمشاركة العامة. وأدرك قاسم أمين أن المرأة تمثل الركيزة الأخلاقية للحضارة، وأن تهميشها يعني بالضرورة إضعاف الأمة بأسرها، لذلك جعل من فكرة المساواة محور مشروعه الفكري والإصلاحي. وقد صاغ رؤيته بوضوح في مؤلفاته الثلاثة الشهيرة: (تحرير المرأة)، و(المرأة الجديدة) و(حقوق المرأة في الإسلام)، التي مثّلت جميعها محاولة رائدة لدمج القيم الإسلامية بروح الحداثة، وإعادة تعريف موقع المرأة بوصفها شريكاً فاعلاً في بناء المجتمع والنهضة الإنسانية الشاملة.

أ ـ المساواة في التعليم :

تُعدّ قضية التعليم الركيزة الأساسية في الفكر الإصلاحي لقاسم أمين فيما يتعلق بمفهوم المساواة بين الجنسين، إذ أدرك أن الجهل هو الجذر العميق للتخلّف الاجتماعي، وأنه لا يمكن لأي أمة أن تبلغ النهضة ما لم تُنصف المرأة وتمنح حقها الكامل في التعليم والمعرفة. فقد رأى أن حرمان المرأة من التعليم لا يضرّ بها وحدها، بل يصيب المجتمع كلّه بالجمود والتراجع، لأن المرأة في نظره هي اللبنة الأولى في بناء الأسرة، والمدرسة الأولى في تنشئة الأجيال. وقد عبّر في مقدمة كتابه: (تحرير المرأة)، عن هذه القناعة بوضوح حين أوضح إن الأمة التي لا تدرك أن تعليم البنات فرضٌ وضرورة كتعليم البنين، هي أمة محكومٌ عليها بالانحطاط، مؤكداً أن الأم الجاهلة لا تستطيع أن تُنشئ جيلاً حراً واعياً بقيمة العقل والمسؤولية. ومن هنا، ربط أمين بين تحرير المرأة وتعليمها وبين تحرير الأمة من الجهل والاستبداد، معتبراً أن

(1) عبدالله العروي ، الايدلوجيا العربية المعاصرة ، المركز الثقافي العربي ، (الدار البيضاء ، 1995) ، ص29
(2) Badran, op. cit., p. 28
(3) عمارة ، المصدر السابق ، ص 41
(4)Ellen McLarney, Reviving Qasim Amin, Redeeming Women’s Liberation, Duke University Press, Durham, 2019, p. 258
(5)Hoda A. Yousef, The Other Legacy of Qasim Amin: The View from 1908, Cambridge University Press, Cambridge, 2022, p. 9.

التعليم هو المفتاح الحقيقي للنهضة الأخلاقية والاجتماعية، وأن النهوض بالمرأة هو شرط لا غنى عنه في سبيل تحقيق التنمية الإنسانية الشاملة.[1]

ويستدل امين في هذا القول على مبدأ قرأني اصيل هو ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ليؤكد ان الاسلام لم يفرق في التكليف بين الجنسين ، واضاف ان المرأة كالرجل في استعدادها العقلي ، وانما يُنمى بالعقل والعلم ، فإذا حرمت منه كان ذلك اعتداء على انسانيتها[2]

نظر قاسم أمين إلى التعليم بوصفه أداة للتحرر والتمكين الإنساني، لا مجرد وسيلة لاكتساب المعارف أو المهارات، فالتعليم في نظره يحمل وظيفة أخلاقية واجتماعية تتجاوز حدود التعلّم التقليدي إلى بناء الوعي وإطلاق طاقات العقل. وقد رأى أن تعليم المرأة لا يهدف إلى منافسة الرجل، بل إلى تحريرها من التبعية وتمكينها من أداء دورها الطبيعي في تشييد المجتمع المدني الحديث القائم على المساواة والتكافؤ في المسؤوليات. وفي مؤلفه: (حقوق النساء في الإسلام)، أكد أمين على أن صلاح الأمة رهين بصلاح الأمهات، وأن صلاح الأمهات لا يتحقق إلا عبر التعليم والتربية السليمة، لأن الأم المتعلمة هي التي تغرس في أبنائها قيم العقل والانضباط والحرية المسؤولة. ويشير إلى أن الجهل بالعلوم هو الذي أفسد أخلاق النساء وأضعف عقول الرجال على حدّ تعبيره، في إشارةٍ إلى أن الجهل لا يفرّق بين الجنسين، بل يعوق تطور المجتمع بأسره. ويرى أمين أن التعليم هو المدخل الأول لإصلاح الحياة الاجتماعية والأخلاقية، وأنه من دون إشراك المرأة في عملية التعلّم لن تستطيع الأمة أن تنجز نهضتها المنشودة. فالمرأة المتعلّمة في فكره ليست مجرد متلقّية للمعرفة، بل فاعل أساسي في صياغة الوعي الجمعي وصيانة الأخلاق العامة، وهي شريك في بناء أمةٍ مستقلة في فكرها، حرّة في إرادتها، قادرة على تحقيق التقدم والتوازن بين الأصالة والتحديث.[3]

ومن الملاحظ ان موقف امين من التعليم يعكس وعياً تنويراً جديداً اذ وجد ان المدرسة هي عبارة عن مؤسسة لتربية المواطن، لا لتأهيل الانثى لخدمة البيت فقط ، وان تعليمهن هو ضرورة وطنية لخلق امهات عقلانيات ومواطنات مستنيرات[4] ، لم يكن التعليم عند قاسم أمين مقصوراً على حدود القراءة والكتابة أو تحصيل المعارف المدرسية، بل كان في جوهره مشروعاً فكرياً متكاملاً لإعادة بناء الإنسان والمجتمع. فقد أراده تعليماً شاملاً يرقى بالمرأة من مستوى التلقين إلى مستوى الوعي والتفكير النقدي والإبداع، ويتناول – إلى جانب المعارف العلمية – تهذيب الأخلاق، وتنمية العقل، وصقل الذوق العام، بحيث تصبح المرأة كائناً فاعلاً ومؤثراً في الحياة الاجتماعية والفكرية، لا مجرد تابعٍ أو عنصرٍ هامشي في بناء الأمة.

وفي هذا الإطار، نظر أمين إلى التعليم بوصفه وسيلة لإعداد المرأة لتكون شريكاً حقيقياً في مشروع النهضة، لا على المستوى الأسري فحسب، بل على مستوى المجتمع المدني والدولة الحديثة. فالتعليم عنده هو الأساس الذي تُبنى عليه القيم الأخلاقية والإنسانية، وهو الطريق إلى تحرير العقل من التقاليد المقيدة وإحياء روح المسؤولية والمواطنة. ويرى أمين أن إصلاح المرأة من خلال التعليم ليس غاية فردية أو مطلباً اجتماعياً محدوداً، بل هو مدخل لتجديد الأمة بأكملها عبر إصلاح العقل الجمعي وتحريره من الجهل والخرافة. فالأمة في نظره لا تُبعث من جديد إلا حين تمتلك نساءً متعلمات، حرّات، قادرات على تربية أجيالٍ واعية تؤمن بالعقل والعمل والعدالة. ومن ثمّ، فإن دعوته إلى التعليم لم تكن مجرّد دفاع عن حقوق المرأة، بل كانت إعلاناً عن رؤية حضارية شاملة ترمي إلى بناء مجتمعٍ ناهضٍ يستند إلى العلم والأخلاق والعقلانية بوصفها مقوّماتٍ أساسية لنهضة الأمة واستدامة تطوّرها.[5] ، كما ربط امين بين التعليم والكرامة الانسانية والتنمية الوطنية وذلك من خلال استثمار الانسان استثماراً نافعا ، وهو المبدأ الذي تقوم عليه التنمية البشرية الحديثة[6]

ويعد هذا الفهم المبكر للتعليم بوصفه اداة تمكين وتمييز ايجابي للمرأة اسهامة فكرية واضحة فيما يعرف اليوم بـ التنمية المستدامة الاجتماعية التي تهدف الى تحقيق العدالة والمشاركة المتكافئة بين الجنسين في صنع مستقبل المجتمعات

ب ـ المساواة في العمل والحرية الاجتماعية

انتقل امين من مبدأ التعليم الى ميدان الحرية الاجتماعية والعمل ، معتبراً ان التعليم لا يؤدي دوره ما لم يصحبه انفتاح اجتماعي يتيح للمرأة ممارسة مواهبها في الحياة العامة ، وهذا ما اكد عليه في كتابه الموسوم " المرأة الجديدة " مؤكداً ان المرأة التي تعمل في غير بيتها لا تخرج عن طبيعتها بل تؤدي واجباً اجتماعياً ، اذ اعتبر ان العمل هو قانون الحياة ولا يجوز ان يستثنى منه نصف البشر[7]

(1) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 31
(2) قاسم امين ، المراة الجديدة ، مؤسسة هنداوي للتوزيع والنشر ، (القاهرة ، 2010) ، ص 22
(3) قاسم امين ، حقوق النساء في الاسلام ، مؤسسة هنداوي للتوزيع والنشر ، (القاهرة ، 2021) ، ص15
(4)Badran, op. cit., p:36
(5) عمارة ، المصدر السابق ، ص 57
(6) المصدر نفسه ، ص 61
(7) امين ، المرأة الجديدة ، ص 82

لم يكن قاسم أمين، كما حاول خصومه أن يصوروه، داعيةً إلى الانحلال الاجتماعي أو تقويض القيم الأخلاقية، بل كان من أبرز من نادوا بضرورة إعادة بناء المنظومة الأخلاقية للمجتمع على أسسٍ عقلانية وإنسانية. فقد رأى أن الأخلاق الحقيقية لا تُستمد من الخوف أو الخضوع للأعراف الموروثة، بل من الوعي والمسؤولية والتربية الواعية التي تنبع من داخل الإنسان لا من الخارج. وفي هذا الإطار، دعا إلى أن يكون العقل هو الحاكم في توجيه السلوك، وأن تُربّى المرأة والرجل على أساس الضمير الحيّ لا على الرهبة من العقاب أو سلطة المجتمع.

وقد انطلق أمين في رؤيته من قناعةٍ راسخة بأن صلاح الأخلاق النسائية هو الأساس في إصلاح المجتمع كله، إذ رأى أن المرأة بما تملكه من تأثير في الأسرة والتنشئة والتربية تمثل المحور الذي تتكوّن حوله القيم العامة للأمة. فالمرأة الفاضلة المتعلمة تُسهم في تنشئة جيلٍ راشدٍ متزنٍ فكرياً وأخلاقياً، قادرٍ على التمييز بين الحق والباطل، وعلى ممارسة حريته في إطار من المسؤولية.

ويرى أمين أن المجتمع الفاضل لا يقوم على القهر والإكراه، بل على الإقناع والتربية والضمير الحيّ، لأن القيم التي تُفرض بالقوة سرعان ما تنهار بزوال الرقيب، أما القيم التي تُبنى على القناعة فهي التي تُثمر سلوكاً حضارياً دائماً. ومن هنا، كان مشروعه في جوهره ثورة أخلاقية هادئة تسعى إلى تحرير الإنسان من الخوف والتقليد، وإعلاء شأن العقل والتربية بوصفهما أساس النهضة والاستقامة الاجتماعية. [1]، كما يرى المؤلف عبد المنعم دسوقي ان دعوة امين الى مشاركة المرأة في العمل لم تكن مجرد مطلب اقتصادي بل واجب وطني واخلاقي، وان حرية المرأة عنده كانت رمزاً لتحرر الوطن من الجهل والتقليد الاعمى، لا سيما انه ربط اصلاح المرأة باصلاح الامة. [2]

فإن فكر امين حول الحرية الاجتماعية كان خطوة اساسية في تشكيل ما يسمى بـ (المواطن الاخلاقي الحديث) في مصر ، وبالتالي فإن كتاباته تُعد تجديدا وتغييرا للفرد المصري من حالة الانحطاط الى حالة الرقي الاخلاقي المتميز[3]

لقد اراد امين ان تكون الحرية الاجتماعية للمرأة مقيدة بالعقل والفضيلة لا بالوصاية الذكورية ، وهو ما جعله يجمع بين قيم الاسلام ومكتسبات الحداثة ، وكان فكره امتداداً للاصلاح الاسلامي لا خروجاً عليه ، وان رؤيته كانت متجذرة في الاخلاق الاسلامية والروح الاصلاحية العقلانية[4]

كما تشكل العدالة الاجتماعية في فكره محوراً فلسفياً يقابل اليوم ما تسميه الدراسات الحديثة بـ الركيزة الاجتماعية للتنمية المستدامة ، فهو يرى ان العدل اساس الملك ، ومتى فُقد العدل بين الرجال والنساء فسد نظام الاسرة والمجتمع وانهارت الفضيلة.

وقد راى امين ان الظلم الاجتماعي الواقع على المرأة ينعكس بالضرورة على ضعف المجتمع كله ، كما ربط موضوع العدالة الاجتماعية بالتقدم الاقتصادي ، ففي رأيه بأن المجتمع الذي يهدر طاقات النساء لا يستطيع ان ينهض[5]

ج ـ المساواة في الحقوق الاجتماعية والقانونية

بلور امين في كتابه الثالث "حقوق النساء في الاسلام" بوصفه خلاصة مشروعه الاصلاحي في هذا الكتاب وذلك رداً على من اتهموه بالانحياز نحو الغرب ، فبين ان الاسلام سبق الحضارة الاوربية في منح المرأة حقوقها القانونية عندما اعطاها حق التملك والميراث والتصرف ، وهذه الحقوق لم تنلها نساء اوربا الا بعد اثنى عشرا قرناً[6]

وبين ايضاً ان الخطأ لا يكمن في الشريعة ، بل على الفهم الخاطئ لها ، فليس في ديننا ما يمنع المرأة من المشاركة في الحياة العامة ، ولكن نحن الذين ضيقنا عليها سبل العلم والعمل باسم الدين[7] ، ولقد اعاد امين تفسير النصوص الدينية وفق مقاصدها ، فاعتبر ان العدل مقصد اساس من مقاصد الشريعة ، وان التمييز الجائر بين الجنسين يناقض هذا المقصد ، ويذكر محمد عكارة هذا التوجه بحيث يجعل من امين اصلاحيا اسلامياً حقيقياً لا ليبرالياً مستغرباً ، مؤكدا ان مرجعيته كانت القرآن لا الفكر الغربي ، وذكر ان امين لم ينسلخ عن دينه ، بل عاد اليه ليستخرج منه قيم العدالة ولعقل والحرية[8]

(1) وافي، المصدر السابق ،ص88
(2) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 46
(3)McLarney, op. cit., p. 259
(4)Badran, op. cit., p:41
(5) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص49
(6) امين ، حقوق النساء في الاسلام ، ص7
(7) المصدر نفسه ، ص 14
(8) عمارة ، المصدر السابق ، ص72

وترى هدى يوسف في تحليلها لمفهوم المساواة عند امين انه قدم رؤية ثلاثية الابعاد : قانونية ، و اخلاقية ، و مدنية ، تجعل من العدالة مبدأ شاملاً للحياة الاجتماعية ، وبينت ان العدالة هي حجر الزاوية في المجتمع الاسلامي الحديث [1]

وقد كانت فلسفة امين القانونية امتداداً لعمله في القضاء ، اذ رأى بعينه التفاوت في تطبيق العدالة بين الرجال والنساء ، ومن هنا جاءت دعوته الى تحديث القوانين بما يتوافق مع روح الاسلام ومصلحة المجتمع ، واعتبر ان المساواة القانونية هي الضمان المؤسسي للحرية الاجتماعية ، فمن خلال كتاباته حول المراة تطرق الى جوانب لها علاقة بالحداثة القانونية والهوية الوطنية[2]

ومن الجدير بالذكر ان امين لم يكن مفكراً نسوياً بالمعنى الغربي ، بل مصلحاً اجتماعياً اراد ان ينهض بالمجتمع عبر اصلاح وضع المرأة ، معتبراً ان العدالة لا تتجزأ ، وان قضية تحرير المرأة لا تمس النساء وحدهن بل هي مسألة قضية وطنية تمس كرامة المجتمع كله[3]

فتمكين المراة في فكر امين هو من ابرز القواسم المشركة مع مفهوم التمكين في التنمية المستدامة ، فقد اكد مراراً ان حرية المرأة لا تعني التمرد على الدين او على الاسرة ، بل المشاركة الفاعلة في الحياة العامة بكرامة ومسؤولية ، فهو اراد من حرية المراة بأن تحفظ دينها وكرامتها وتعدها لتكون شريكة في خدمة الوطن لا مجرد خادمة في البيت فقط[4]

كما تتفق فكرته مع مفهوم رأس المال الاجتماعي الذي يعد اليوم من مؤشرات التنمية المستدامة ، فالمراة المتعلمة المنتجة في فكر امين هي العنصر الذي يعيد القيم الاخلاقية والمعرفية داخل الاسرة والمجتمع ، وهو ما عبر عنه بقوله:" المراة المتعلمة تُنبت امة متعلمة، المرأة الجاهلة تُنبت امة جاهلة" [5]

الخاتمة

يتبيّن من خلال هذا البحث أن مفهوم المساواة في الفكر العربي الحديث لم يكن فكرةً طارئة أو صدىً لثقافةٍ وافدة، بل هو امتداد أصيل لجذورٍ إسلاميةٍ راسخة قامت على مبادئ العدالة والكرامة الإنسانية والمساواة في التكليف والمسؤولية. وقد جاءت حركة النهضة العربية في القرن التاسع عشر لتعيد إحياء هذه القيم في سياق مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي فرضها الواقع الاستعماري والاحتكاك بالغرب. فكانت المساواة في فكر النهضويين جسراً للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، ومحاولةً لبناء مشروعٍ حضاري يستلهم من الإسلام روحه الإنسانية ومن الحداثة أدواتها العقلية والتنظيمية.

وفي هذا الإطار، مثّل قاسم أمين نقطة تحولٍ مفصلية في مسار الفكر الإصلاحي العربي، إذ نقل فكرة المساواة من حيز التنظير الفلسفي إلى الممارسة الإصلاحية الملموسة، واضعاً بذلك مشروعاً وطنياً متكاملاً يقوم على ثلاث ركائز أساسية: التعليم، والحرية، والعدالة. لم تكن دعوته إلى تحرير المرأة خروجاً على التقاليد بقدر ما كانت إحياءً للعقل الإسلامي المستنير الذي يجعل من المرأة شريكاً في النهضة ومسؤولاً عن مستقبل الأمة.

لقد أدرك أمين أن النهضة لا يمكن أن تتحقق ما لم تُنصف المرأة بحقها في التعليم والمشاركة، وأن التعليم ليس غايةً في ذاته، بل وسيلة للتحرر الأخلاقي والاجتماعي. فالمرأة المتعلّمة الواعية هي في نظره الأساس الأخلاقي للأسرة والمجتمع، ومنها يبدأ الإصلاح الحقيقي الذي يمتد من البيت إلى الدولة. ومن هنا، جاءت مؤلفاته الثلاث: (تحرير المرأة)، و(المرأة الجديدة)، و(حقوق المرأة في الإسلام)، لتشكل منظومة فكرية إصلاحية تُجسّد التوازن بين الانتماء الديني والانفتاح العقلاني، وتُعيد صياغة العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس التكامل لا التبعية، والعقل لا العرف، والمسؤولية لا الخوف.

وهكذا، يمكن القول إن قاسم أمين لم يكن مجرد مصلح اجتماعي، بل رائد مشروع حضاري شامل هدفه إعادة بناء الوعي الإنساني للأمة العربية في ضوء قيم الإسلام وروح الحداثة. لقد أسس بفكره لجيلٍ جديد من المفكرين الذين رأوا في المساواة والتعليم والحرية الطريق إلى تنميةٍ إنسانيةٍ مستدامة تُعيد للأمة توازنها الحضاري وقدرتها على الإبداع والمشاركة في بناء المستقبل.

وبذلك يُغلق هذه البحث محاوره على قناعةٍ مفادها أن المساواة في الفكر النهضوي العربي ليست شعاراً مستورداً، بل هي فعلُ وعيٍ وإحياءٍ للذات الحضارية، وأن مشروع قاسم أمين في جوهره دعوة إلى نهضةٍ عقلانيةٍ أخلاقيةٍ تستمد قوتها من الإيمان بالإنسان، ومن الثقة بقدرة الفكر العربي الإسلامي على التجدد والعطاء عبر الزمن.

(1)Yousef, , op. cit., p:18
(2)Badran, op. cit., P:24
(3) الدسوقي ، المصدر السابق ، ص47
(4) امين ، المراة الجديدة ، ص 83
(5) قاسم امين ، تحرير المرأة ، ص28

References

1. Badran ,Margot, *Feminists, Islam, and Nation: Gender and the Making of Modern Egypt*, Princeton University Press, Princeton, 1995
2. Berdon ,Alexandra. *Ladies or Women, Occident or Orient: Clashes and Contradictions in the Egyptian Feminist Movement, 1919–1952*. Barnard College, Columbia University, 2021.
3. McLarney ,Ellen, *Reviving Qasim Amin, Redeeming Women's Liberation*, Duke University Press, Durham, 2019
4. Yousef ,Hoda A., *The Other Legacy of Qasim Amin: The View from 1908*, Cambridge University Press, Cambridge, 2022
5. Abd al-Rahman, ʿAisha. *Qasim Amin: Raʾid Tahrir al-Marʾa* [*Qasim Amin: Pioneer of Women's Liberation*], Dar al-Hilal, (Cairo, 1962).
6. Abduh, Muhammad. *al-Aʿmal al-Kamila* [*The Complete Works*], The Egyptian General Book Organization, (Cairo, 1993).
7. Al-ʿArwi, Abdullah. *al-Idiyulujiya al-ʿArabiya al-Muʿasira* [*The Contemporary Arab Ideology*], Arab Cultural Center, (Casablanca, 1995).
8. Al-Dusuqi, ʿAbd al-Munʿim. *Qasim Amin: Raʾid al-Tanwir fi al-Fikr al-ʿArabi al-Hadith* [*Qasim Amin: Pioneer of Enlightenment in Modern Arab Thought*], The Egyptian General Book Organization, (Cairo, 2005).
9. Al-Tahtawi, Rifaʿa Rafiʿ. *al-Murshid al-Amin lil-Banat wal-Banin* [*The Honest Guide for Girls and Boys*], The Government Press (al-Matbaʿa al-Amiriyya), (Cairo, 1973).
10. ʿAmara, Muhammad. *Tahrir al-Marʾa bayna Qasim Amin wal-Gharb* [*The Liberation of Women between Qasim Amin and the West*], Dar al-Shorouk, (Cairo, 1984).
11. Amin, Qasim. *Al-Marʾa al-Jadīda* [*The New Woman*], Hindawi Foundation for Publishing and Distribution, (Cairo, 2010).
12. Amin, Qasim. *Huquq al-Nisaʾ fi al-Islam* [*The Rights of Women in Islam*], Hindawi Foundation for Publishing and Distribution, (Cairo, 2021).
13. Hourani, Albert. *Al-Fikr al-ʿArabi fi ʿAsr al-Nahda 1798–1939* [*Arabic Thought in the Liberal Age, 1798–1939*], translated by Karim Asʿoul, 2nd ed., Dar al-Nahar, (Beirut, 1986).
14. Wafi, ʿAli ʿAbd al-Wahid. *Qasim Amin: Hayatuhu wa Araʾuhu fi Tahrir al-Marʾa* [*Qasim Amin: His Life and Opinions on the Liberation of Women*], Dar al-Maʿarif, (Cairo, 1960).